

113687 - الشيخ الألباني رحمه الله محدث كبير وفقه مجتهد

السؤال

على العامي أن يتبع شيخاً يطمئن إليه قلبه ، ويكون شيخاً معروفاً بالعلم ، والصلاح ، فأنا أعلم أن الشيخ الألباني رحمه الله عالم كبير في الحديث (وهذا لا ينكره أحد) ويطمئن قلبي لمنهجه في الفقه ؛ لحرصه الشديد على اتباع السنة ، لكنه يبدو لي أن كثيراً من الناس لا يأخذون بأقواله في الفقه ، فلماذا ؟ فهل في منهجه الفقهي أخطاء كبيرة ؟ وهل أستطيع أن أتخذه مرجعاً لي في الفقه ؟ .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

خلق الله تعالى الناس متفاوتين في الفهم والإدراك ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات في العلم والإيمان ، وواقع الناس يشهد بهذا ، ولهذا كان الناس درجات في الاجتهاد والتقليد .

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله :

"والناس على أربعة أقسام :

القسم الأول : من يستطيع الاجتهاد المطلق ، بأن يأخذ من الكتاب والسنة ، ويستنبط من الكتاب والسنة ، ولا يقلد أحداً . وهذا أعلى الطبقات ، ولكن هذا إنما يكون لمن توفرت فيه شروط الاجتهاد المعروفة ، بأن يكون عالماً بكتاب الله ، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون عالماً بلغة العرب التي نزل بها القرآن ، وأن يكون عالماً بالمحكم والمتشابه ، وبالناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيّد ، والخاص والعام ، ويكون عنده معرفة بمدارك الاستنباط ، أعني : لديه مؤهلات ، فهذا يجتهد ، وهذا الصنف كالأئمة الأربعة : أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، هؤلاء أعطاهم الله ملكة الاجتهاد .

الصنف الثاني : من لا يستطيع الاجتهاد المطلق ، ولكنه يستطيع الترجيح بين أقوال أهل العلم ، بأن يعرف ما يقوم عليه الدليل ، وما لا يقوم عليه الدليل من أقوالهم .

فهذا يجب عليه الأخذ بما قام عليه الدليل ، وترك ما خالف الدليل ، وهذا العمل يسمّى بالترجيح ، ويسمّى بالاجتهاد المذهبي .

الصنف الثالث : من لا يستطيع الترجيح .

فهذا يُعتبر من المقلّدين ، ولكن إذا عرف أنّ قولاً من الأقوال ليس عليه دليل : فلا يأخذ به ، أما ما دام لا يعرف ، ولم يتبيّن له مخالفة : فلا بأس أن يقلّد ، ويأخذ بأقوال أهل العلم الموثوقين .

والصنف الرابع : من لا يستطيع الأمور الثلاثة : لا الاجتهاد المطلق ، ولا الترجيح ، ولا التقليد المذهبي ، كالعامي - مثلاً - .
فهذا يجب عليه أن يسأل أهل العلم ، كما قال الله تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ، فيسأل أوثق من يرى ، ومن يطمئن إليه من أهل العلم ، ممّن يثق بعلمه ، وعمله ، ويأخذ بفتواه .
هذه أقسام الناس في هذا الأمر

والواجب على الإنسان : أن يعرف قدر نفسه ، فلا يجعل نفسه في مكانة أعلى مما تستحقّها ، بل الأمر أخطر من ذلك ، وهو أن يخاف من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الأمر أمر تحليل وتحريم ، وجنّة ونار ، فلا يورط نفسه في أمور لا يُحسن الخروج منها" انتهى .

"إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد"

ثانياً :

الشيخ الألباني رحمه الله لا نعرفه إلا من فرسان ميدان الاجتهاد والفتوى ، فهو من أئمة الشأن في زماننا هذا ، وهذه كتبه ، وأشرطته ، ومجالسه ، تشهد له بذلك ، وهؤلاء أئمة الفتيا والاجتهاد يزكون علمه ، ويحيلون عليه ، ويستشهدون بكلامه ، ومن قال : إنه محدّث ليس بفقّيه : فقد أخطأ ، بل هو فقيه متمرّس ، وهو ملتزم بقواعد العلم ، وضوابطه ، ولا تعرف له أصول خاصة به يتبناها في فهم الدين ، بل هو سائر على ما خطّه أئمة العلم من السلف الصالح ، وعلمه بالحديث أهله ليبيّن ترجيحاته على ما صحّ من الأحاديث .

قال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء - عن الشيخ الألباني - :

"الرجل معروف لدينا بالعلم والفضل ، وتعظيم السنّة وخدمتها ، وتأيد مذهب أهل السنة والجماعة في التحذير من التعصب والتقليد الأعمى ، وكتبه مفيدة ، ولكنه كغيره من العلماء ليس بمعصوم ، يخطئ ويصيب ، ونرجو له في إصابته أجرين ، وفي خطئه أجر الاجتهاد ، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر واحد) - متفق عليه -" انتهى .

الشيخ عبد العزيز بن باز ، الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، الشيخ عبد الله بن غديان ، الشيخ عبد الله بن قعود .

" فتاوى اللجنة الدائمة " (12 / 324 , 325) .

فشهدوا للشيخ رحمه الله بأنه من العلماء ، وأنه من المجتهدين ، وكل من أنصف من نفسه علم أن الشيخ الألباني رحمه الله له قدم راسخة في الفقه والاجتهاد ، ويمكن أن ندلل على هذا من خلال أمور :

1. شهادة العلماء له بذلك ، وقد دونت في كتاب "حياة الألباني" للشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني وفقه الله .
2. كتبه الفقهية المتينة ، وبعضها لم يؤلف على منوالها ، ولا في قوتها ، ويكفي أن نمثّل بكتابه " أحكام الجنائز " فهو غاية في القوة ، ويدل على فهم ثاقب للسنّة ، ويؤيّد فهمه بالقواعد الفقهية المتبعة عند سلف الأمة ، ويضاف إليه : " آداب الزفاف " ، و " تمام المنّة في التعليق على كتاب " فقه السنّة " .

3. أشرطته التي تملأ الأرض ، وما نُشر منها يبلغ (1000) ألف شريط ، وما لم يخرج منها يبلغ (5000) ساعة صوتية ، وهذا كله تسجيل لبعض المجالس ، فكيف لو سجلت مجالسه كلها ؟ ! .

ثالثاً :

ننبه في نهاية الجواب إلى مسائل وفوائد :

1. الشيخ الألباني رحمه الله بشر ، يصيب ويخطئ ، فلا ينبغي لأحد اعتقاد العصمة في كلامه ، وقد لا نجد من يزعم ذلك بلسان مقاله ، لكننا نجد كثيرين يعتقدونه بلسان حالهم !

2. لا يحل لمن يقلّد الشيخ الألباني إذا تبين له قوة كلام غيره من أهل العلم والفضل أن يستمر على الأخذ بكلام الشيخ رحمه الله ، بل يجب عليه اتباع الحق أينما كان ، ومع من كان .

وقد سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله :

ما توجيه فضيلتكم لطالب العلم المبتدئ هل يقلد إماماً من أئمة المذاهب أم يخرج عنه ؟ .

فأجاب :

"قال الله عز وجل : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) الأنبياء/7 ، فإذا كان هذا طالباً ناشئاً لا يعرف كيف يخرج الأدلة : فليس له إلا التقليد ، سواء قلد إماماً سابقاً ميتاً ، أو إماماً حاضراً – عالماً من العلماء – وسأله ، هذا هو الأحسن ، لكن إذا تبين له أن هذا القول مخالف للحديث الصحيح : وجب عليه أن يأخذ بالحديث الصحيح " انتهى .

" العلم " (ص 115) .

3. الشيخ الألباني رحمه الله لم يأت بجديد في أحكام الدين ، وهو يكرر كثيراً أنه لم يقل بقول لم يسبق إليه ، فليتنق الله من يطلق لسانه في الشيخ بأنه جاء بشذوذات ، وليتنق الله من يتعصب للشيخ .

4. ليس من منهج الشيخ رحمه الله – بل ولا منهج أحد من الأمة – أن ينظر الطالب في الآية والحديث ثم يستنبط ما يشاء من أحكام ! بل إن الشيخ رحمه الله قد اشتكى جداً من هؤلاء ، وقال إننا كنّا نعاني من "التقليد" فإذا بنا نعاني الآن من "الانفلات" ! وصرّح الشيخ رحمه الله بأن تقليد العلماء السابقين خير بكثير من هذا الانفلات ، بل التقليد للعامي واجب ، وهذا الانفلات محرّم .

5. ليعلم من يقلّد الشيخ رحمه الله أن الشيخ نفسه يذم التقليد ، فهو يوصي بالعلم ، ويدعو للتعلم ، وأن يكون المسلم متبعاً للدليل من الكتاب أو السنة ، وإذا كان الشيخ رحمه الله يمنع من تقليد أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد فهو لتقليده أمتع .

6. لا ينبغي للعامي الذي يقبل لنفسه تقليد الشيخ الألباني رحمه الله – أو غيره من أهل العلم قديماً وحديثاً – أن يفتي ، أو يجادل غيره ، ولو التزم المقلدون بهذا لارتاحت الأمة من كثير من السوء الذي يُسمع هنا وهناك .

7. من حباه الله شيئاً من العلم ، والقدرة على الترجيح بين الأدلة ، ومعرفة الأقرب منها للصواب : لا يحل له أن يكون مقلداً لا للشيخ الألباني ، ولا لغيره .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله :

"يجب على من لا علم عنده ولا قدرة له على الاجتهاد أن يسأل أهل العلم ؛ لقوله تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

الأنبياء/7 ، ولم يأمر الله تعالى بسؤالهم إلا من أجل الأخذ بقولهم ، وهذا هو التقليد ، لكن الممنوع في التقليد : أن يلتزم مذهباً معيناً يأخذ به على كل حال ، ويعتقد أن ذلك طريقه إلى الله عز وجل ، فيأخذ به ، وإن خالف الدليل .
وأما من له قدرة على الاجتهاد ، كطالب العلم الذي أخذ بحظ وافر من العلم : فله أن يجتهد في الأدلة ، يأخذ بما يرى أنه الصواب ، أو الأقرب للصواب .
وأما العامي وطالب العلم المبتدئ : فيجتهد في تقليد من يرى أنه أقرب إلى الحق ؛ لغزارة علمه ، وقوة دينه وورعه" انتهى .
" العلم " (ص 205) .

والله الموفق